الأهرام

المصدر: الحياه
التاريخ: ٥ مارس ١٩٩٢

النزعات العنصرية المعادية للأجانب في الغرب

متى ستتعاطى اوروبا بايجابية وتمدن مع العالم الاسلامي وشعوبه؟

حسين حاجي اوغلو*

■ النزعة المعادية للاجانب، الملحوظة منذ سنوات في المانيا، الى مزيد من الإتساع. فقد تكثفت، في الآونة الاخيرة، الإعتداءات التي تستهدف الأجانب، ولا سيما الاتراك منهم. وآخر جثة كانت لرجل يدعى ميتي اكشي الذي قضى إثر ضربة من قبل العنصريين، بعصا البيسبول. أما مصطفى كوشه ذو الـ ٤٧ عاماً فقد تعرض للطعن في ثمانية اماكن من جسمه مخلفة جروحاً خطيرة وغادر المعتدون وهم يهتفون: سوف نقتل جميع الأتراك. الموت للأجانب. لتحيا الإمبراطورية الألمانية!

لقد احتفلت المانيا في الخريف الماضي بذكرى توحيدها. غير أن هذه الإحتفالات واكبتها سلسلة احداث بشعة في العديد من انحاء البلد. ففي جزيرة ريغون احرق يمينيون متطرفون مركزاً تجارياً لأحد التجار الأجانب. وفي بريمين تعرض آخرون لاعتداءات بقنابل متفجرة. وحصلت ممارسات مماثلة في كارلسروه ودوسلدورف. من بين هؤلاء الضحايا طفلان لبنانيان أصيبا بجروح خطرة. وسجل في احدى المرات تعرض ١٦ اجنبياً لاعتداءات خلال فترة لا تتجاوز الـ ٢٤ ساعة. وهكذا تحول يوم الثالث من تشرين الأول (اكتوبر)، ذكرى توحيد المانيا، مناسبة لاعتداءات عرقية وعنصرية على العاملين الأجانب في المانيا. وهذه الهجمات، هي الأخطر في المانيا منذ انتهاء عهد ادولف هتلر. لقد بلغ عدد الهجمات من هذا النوع في المانيا خلال العام ١٩٩١ ما يزيد على ٤٠٠ هجوم. وقد تكثفت هذه الإعتداءات بعد توحيد المانيا. ومن الملاحظ انها تتركز في ما كان يعرف سابقاً بالمانيا الشرقية. وبتعبير صحيفة «دير شبيغل» لم يعد الإرهاب الذي يستهدف الأجانب مجرد مناسبات، بل تحول الى حدث يومي وحياة بحد ذاتها.

يرجح الباحثون اسباب النزعة المعادية للأجانب هذه الى عوامل إقتصادية. في الواقع أن عدد العاطلين عن العمل يناهز نسبة ٢٨ في المئة وإيجارات البيوت واسعار المواد الغذائية ترتفع باضطراد ولا سيما في مناطق المانيا الشرقية سابقاً. والسكان المحليون يرون أن الوجود الأجنبي في بلادهم يهدد ضمانتهم الإقتصادية. لكن، مع اهمية هذا السبب، إلا انه ليس الوحيد. إذ كان يوجد في المانيا الشرقية حوالي ١٩١ الف عامل وطالب اجنبي. اما الآن، وبعد توحيد الالمانيتين فإنه يظن أن العدد المتبقي لا يتجاوز الثلاثين الفاً.

يمكن النظر الى المسالة من زاوية اخرى.

كان الأجانب في العهد الشيوعي في حالة إنقطاع وابتعاد عن السكان المحليين واتصالاتهم مع الالمان كانت محدودة. بدوره كان انفتاح الألمان الشرقيين على الخارج، محدوداً حيث لم يكن بإمكانهم التجوال إلا في الإتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية. الآن نرى ان السرقات الحليقة».

ولا تقتصر النزعة المعادية للأجانب على المانيا وحدها. بل إنها واقع مؤسف يشمل عدداً لا باس به من الدول الأوروبية وذلك في الوقت الذي يتم الحديث عن الديموقراطية وإعادة بناء أوروبا بيت مستقبلي.

وتذكر المجموعات العنصرية في اوروبا والتي يزداد عدد اعضائها مع الوقت، بايام الزعيم النازي هتلر. ووريثو هتلر هؤلاء لا يابهون أكانوا في السلطة أم لا. فهمهم الأساسي تصيد الأجانب في أوروبا بصورة تثير الجزع والقلق.

ويوجد في المانيا والنمسا حزب عنصري بزعامة جورغ هايدر الذي يحلم بتوحيد المانيا والنمسا، كما يطل من جديد برأسه تيار «النظام الجديد» الهتلري الذي يتولى قيادته غيرهارد فراي زعيم الصلع.

وفي بلجيكا، ينظر البوليس نفسه بعين مريبة إلى الأجانب. وحزب الديموقراطية الجديدة في السويد الذي يعتبر «اقوى المدافعين» عن الحضارة إتخذ قراراً بوقف المساعدات عن الجائعين في الدول الافريقية.

جورغ هايدر ذو الـ ٤١ عاماً وزعيم الحزب الحر النمساوي، يعتبر من زعماء النازية الجدد الذين يصرون على تحقيق الوحدة بين النمسا والمانيا، كما ذكرنا، لا يقتصر عداؤه للقادمين من دول العالم الثالث بل يشمل القادمين كذلك من أوروبا الشرقية مثل بولونيا وتشيكوسلوفاكيا. ويتهجم هايدر على العمال الأجانب ويصرح بانه لن يتردد لحظة في العمل على إبعادهم.

ويبدو ان حزب الصلع في المانيا، لا تاثير له، ظاهرياً على الأقل. لكنه اشبه بجبل الجليد الذي لا يرى سوى رأسه. فقد نال غيرهارد فراي زعيم حزب إتحاد الشعب الالماني، ٧ في المئة من الأصوات في انتخابات ٢٩ أيلول (سبتمبر) الماضي. وهذا الحزب يدعو لقيام المانيا الكبرى وصاحبه يملك ثلاث صحف ذات توجهات يمينية مفرطة في تعصبها.

ويعيش إنوك بويل في إنكلترا، وهو من زعماء اليمين المتطرف، هاجسه استعادة الأخيرة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

لماضيها الإستعماري، والتخلص من الحضور والاثر للسود.

ومن المعروف ما يقوم به زعيم الجبهة الوطنية في فرنسا، جان لوبين الذي يدعو الى تحرير البلد من المهاجرين البرابرة وذلك بعبارات عنصرية وفاشية متهماً إياهم بانهم نقلوا الى فرنسا مرض الإيدز.

وفي هولندا، تنفخ كذلك ريح العداء للأجانب حيث، الى ممارسات اخرى، ينظر بعين الكراهية في أماكن العمل، الى النساء الهولنديات المتزوجات من أتراك.

والواقع المرير يتعدى ذلك الى ما يخطط له الأوروبيون من فتن للشعوب الاخرى. فالعرب يحاربون العرب، واليوغوسلافيون دخلوا فيما بينهم في حرب ضروس، والأرمن يقتلون الأذريين المسلمين. واحد الزعماء الروس يتحدث بالفم الملآن عن انه لا يمكن لتركيا ودول شمال افريقيا الإسلامية الإنضمام إلى الجماعة الأوروبية. ويقول مسؤولون في برلمان ستراسبورغ الأوروبي انه من الضروري توحيد تركيا، لا مع أوروبا، بل مع آسيا. وزعيم الإنقلاب المشهور في قبرص سامسون يقول: «لم اكن اعمل فقط لتوحيد اليونان مع قبرص، بل في الوقت نفسه كنت ساعمل على محو الأتراك من الجزيرة». والرئيس الحالي فاسيليو يومىء دائماً الى انه سيمارس سياسة إنزال الأتراك القبارصة الى واقع مجرد اقلية واتخاذ تدابير تذويبية شبيهة بما كان قد فعله تيودور جيفكوف في بلغاريا ضد الأتراك والبوماق والتتار والغجر. إن جميع الأوروبيين، على ما يبدو، سواسية في هذه النزعة العدائية، ولا يفوتون فرصة للإعتداء على الأجانب، ولا سيما الأتراك والمسلمين.

السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا هذه النزعة العدائية ضد الأتراك؟

إضافة الى ما ذكرناه سالفاً عن جذور النزعة المعادية للأجانب، من الضروري البحث عن جذور ذلك في التاريخ. وفي مقدمتها ان الأتراك كانوا لقرون طويلة سادة هذه الشعوب الأوروبية قبل أن تتفكك الأوصال العثمانية. ولذا ينظر الأوروبي اليوم بعين حمراء الى الأتراك «البرابرة» معتقداً ان الوقت حان للإنتقام. إن مثل هذه النظرة ما زالت سارية ومقبولة في اوروبا. وكذلك فإن الخوف من عدم استمرار السيطرة على ثروات العرب والمسلمين وبالتالي تأمين مستوى عال من الحياة للشعوب الأوروبية، يكمن خلف النظرة العدائية تجاه العرب والمسلمين.

وكما قلنا، فإن النزعة المعادية للأجانب لا تقتصر على الألمان. وهناك إحصاءات على جانب كبير من الأهمية أوردتها صحيفة «تايمز ميرور سنتر» تتعلق بهذه النزعة. ففي بلغاريا على سبيل المثال، يورد تحقيق الصحيفة ان نسبة كراهية البلغار للأتراك تبلغ ٣٩ في المئة من إجمالي البلغار. وهم يأتون في المرتبة الثانية بعد الغجر (وهم مسلمون) حيث تبلغ نسبة كراهيتهم وسط البلغار ٧١ في المئة. ويحتل العرب المرتبة الثالثة إذ تبلغ نسبة الذين يكرهونهم من البلغار ٣٦ في المئة ثم يأتي البوماق (وهم ايضاً بلغار مسلمون) في المرتبة الرابعة بنسبة ٢١ في المئة.

ومن بين الشعوب التي يشعر الروس تجاهها بالعدائية والنفور يحتل الأذربيجانيون المرتبة الأولى بنسبة ٤٧ في المئة. وما جرى في باكو عام ١٩٩٠ من سحق الدبابات الروسية للمتظاهرين الأذريين هي نتاج هذه العدائية. وكذلك ينظر الروس بعين عدائية الى شعوب جمهوريات آسيا الوسطى. وغالبية سكان هذه الجمهوريات من المسلمين الذين تعرضوا، كما في العهد القيصري، كذلك في ظل النظام الشيوعي السوفياتي، الى مآس ومذابح لا توصف على يد الروس. إن ٣٧ في المئة من الروس يعتبرون شعوب جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية أعداء لهم. أما الألمان فإن نسبة ٥٩ في المئة منهم تكره الغجر و٥٠ في المئة البولنديين و٤٦ في المئة الأتراك. أما في فرنسا فإن العداء يتركز ضد القادمين من افريقيا الشمالية وتبلغ نسبته ٤٢ في المئة.

تعطي أوروبا الغربية دروساً في العديد من المسائل، للشرقيين والمسلمين، وتتقدهم في مجال حقوق الإنسان، ثم تقوم، في المقابل، بالتذمر من وجود المسلمين في اراضيها ساعية عبر البرلمان الأوروبي لتحجيم هذا الوجود. والتناقض نفسه ينطبق على موقف أوروبا الغربية من أحداث بولونيا، حيث كان الأوروبيون يذرفون الدموع ويحرضون البولنديين ويعدونهم بمساعدات وافرة. اليوم انهت بولونيا نظامها الشيوعي ودخلت في مرحلة الديموقراطية. لتصغ الى ليش فاليسا الذي ينظر بضيق الى تأجيل تنفيذ الوعود ويعتبر هذا التكتيك الأوروبي سيئاً. ويقول: «لقد اظهرنا بالتأكيد النية الصافية ووثقنا بشعاراتهم، لكنهم خدعونا». تبعاً لمقالة في صحيفة «ميلليت» (التركية) فإن ذهنية «الانانية» والمركز ما زالتا سائدتين في الأوساط الأوروبية. وخارج مصالحهم لا يتجاوز الأوروبيون ذهنياتهم القديمة. إن أوزوبا، في نظرهم، هي المكان الذي يقف عند حدود الدول الإسلامية. لكن إذا كان ثمة مصلحة في تجاوز هذه الحدود فلا يتوانون عن فعل ذلك. الم يكن هذا ما حدث في حرب الخليج؟ إن الوجه المزدوج لأوروبا يتجلى كذلك في ما يتعلق بعلاقات أوروبا - الولايات المتحدة. لقد مات حلف وارسو وزالت الشيوعية ورفع التهديد السوفياتي عن أوروبا ودخلت الدول الشيوعية السابقة في أوروبا وحلت الديموقراطية وإعادة البناء. أما الآن فإن أوروبا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية